﴿أَمِ ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِهِۦٓ أَوۡلِيَآءَۖ فَٱللَّهُ هُوَ ٱلۡوَلِيُّ وَهُوَ يُحۡيِ ٱلۡمَوۡتَىٰ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ ٩﴾ [الشّورى: 9]

❁ مُناسَبَةُ الآيَةِ لِما قبلَها:

بيانُ حَقارَةِ شَأْنِ الظّالِمِينَ

لمّا نفى اللّهُ سُبْحانه عن الظّالمين وُجودَ أيِّ وليٍّ أو نصيرٍ يَقْدِرُ على نَفْعِهم أو يدفَعُ العذابَ عَنْهُم؛ فقال ﷻ: ﴿وَٱلظَّٰلِمُونَ مَا لَهُم مِّن وَلِيّٖ وَلَا نَصِيرٖ﴾؛ بيَّن أنَّهم من الحَقارة في القَدْرِ بحيثُ لا ينبغي الاهتمامُ بِشَأنِهم وإنذارِهم، فقال سُبْحانَه: ﴿أَمِ ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِهِۦٓ أَوۡلِيَآءَۖ﴾؛ للانتقال إلى بيانِ فَظاعَةِ حالِهم في اتِّخاذ الأولياءِ مِن دونِ اللّه سُبْحانَه[1].

❁ شَرْحُ المُفْرَداتِ:

1) ﴿دُونِهِۦٓ﴾: (دون) تدُلُّ تَصْريفاتُها عَلى مُداناةٍ ومُقارَبَةٍ، يُقال: هَذا دونَ ذاكَ، أيْ: هو أقْرَبُ مِنْهُ[2]، ويُقالُ لِلقاصِرِ عَنِ الشَّيْءِ: دونٌ، ومنهُ قولُ اللّهِ تَعالى: ﴿لَا تَتَّخِذُواْ بِطَانَةٗ مِّن دُونِكُمۡ﴾ [آل عمران: 118]، أي: مِمَّن لَم تَبْلُغ مَنْزِلَتُه مَنْزِلَتَكُم في الدّيانة، وقولُ اللّه سُبْحانَه: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ وَيَغۡفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُۚ﴾ [النّساء: 48]، أي: ما كانَ أقَلَّ مِن ذلكَ، وقيل: ما سِوى ذَلِكَ، والمَعْنيانِ مُتَلازِمان[3]. ويَرِدُ (دون) بِمَعْنى (غَير)، ومنهُ قولُ اللّهِ ﷻ: ﴿وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِهِۦٓ أَوۡلِيَآءَ﴾.

2) ﴿أَوۡلِيَآءَۖ﴾ ﴿ٱلۡوَلِيُّ﴾: (ولي) تدلُّ اشتقاقاتُها على مَعْنَى القُرْبِ، ومِنْهُ: الوَلْيُ وهو القُرْبُ، تقولُ العربُ: تباعَدَ فلانٌ بعْدَ ولْيٍ، أي: بَعْدَ

(1) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 25/ 39.
(2) ابن فارس، مقاييس اللّغة: (دون).
(3) الرّاغب، المفردات: (دون).

قُرْبٍ، وجلسَ ممّا يَليني، أي: يُقاربُني. ومِنْهُ المَوْلَى، وهوَ يُطْلَقُ على معانٍ، مِنْها: المُعْتِقُ، والمُعْتَقُ، والحليفُ، والنّاصِرُ، والجارُ، وفي كلِّها مَعْنَى القُرْبِ كما هوَ بيِّنٌ[1]. ومنه الولاية: أي: الاجتماع في النُّصرة. قال سيبَوَيْهِ: الوَلاية بالفَتْحِ المَصْدَرُ، والوِلاية بالكَسْرِ الاسْمُ، مِثْلَ الإمارة والنِّقابة[2]. و"أولياء" في قول اللّهِ تَعالى: ﴿أَمِ ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ﴾ بمعنى: شركاءَ وأندادٍ[3]. والوليُّ مِن أسماء اللّه تعالى: هو الذي يتولّى أمورَ الخَلائق، وهو المالكُ المُدَبِّر، وهو الذي صَرَف للخَلْقِ ما ينفَعُهُم في دُنْياهُم وأُخراهُم[4].

❁ المَعْنى الإجْماليُّ:

ذَكر اللّهُ تعالى أنَّ المُشْركين الظّالمينَ اتَّخذوا أولياءَ مِن دونه يتَوَلَّوْنَهُم، لكنَّ اللّهَ وحدَهُ هو الوليُّ الحقُّ الذي يتَولّى عبادَه المُؤْمنين بالرِّعاية والتَّأييد، ويُخْرِجُهم مِنْ ظُلُمات الكُفْر إلى نورِ الإيمانِ، ويُعينُهُم في جميع شُؤونِ حَياتِهم، وهو سُبْحانَهُ القادرُ على إحياءِ المَوْتى عندَ البَعْثِ، ولا يُعْجِزُه شيءٌ؛ إذْ هو سُبحانَهُ على كلِّ شيءٍ قديرٌ[5].

التَّفْريقُ بينَ أوْلياءِ الرَّحْمَن وأوْلياءِ الشَّيْطانِ

❁ الإيضاحُ اللُّغَويُّ والبَلاغيُّ:

معنى ﴿أَمِ﴾ ودِلالَتُها:

﴿أَمِ﴾ في قولِ اللّهِ تعالى: ﴿أَمِ ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ﴾، حرفٌ يُفيد الإضرابَ الانتقاليَّ، كأنَّ المعنى: اتْرُك العنايةَ بشأنِهم وإنذارِهم، ولنرجِعْ إلى بشاعَةِ حالهم في اتِّخاذهم أولياءَ من دون اللّه سُبحانَهُ. وبعد ﴿أَمِ﴾ تُقدَّرُ همزَةٌ هيَ للاسْتِفْهام الإنكاريِّ. فيكونُ المعنى: بل أتَّخَذوا مِن دونِ اللّهِ أولياءَ، أي: جاؤوا بمنكرٍ عظيمٍ لمّا اتَّخذوا هؤلاءِ الأولياءَ[6].

نَكارَةُ فِعْلِ المُشْركينَ في اتِّخاذِهِم الأولياءَ مِن دونِ اللهِ تعالى

(1) ابن فارس، مقاييس اللّغة: (ولي).
(2) ابن منظور، لسان العرب: (ولي).
(3) النّسفيّ، مدارك التّنزيل: 3/ 245.
(4) القحطانيّ، النّمر المجتبى، ص: 134.
(5) نخبة من أساتذة التّفسير، التّفسير الميسر، ص: 483.
(6) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 25/ 39.

دلالَةُ التَّعبير بالفِعْلِ الماضي ﴿ٱتَّخَذُواْ﴾، وبيانُ مرجِعِ الضَّمير:

سَعْيُ المُشْركين الـحَـثـيـثُ في مُخالفَةِ فِطَرِهم والمَيْلِ إلى الشِّرك

جاء التَّعبيرُ بفِعْلِ الاتِّخاذ في قولِ اللّهِ تعالى: ﴿أَمِ ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ﴾ ماضيًا؛ للدّلالة على تحقُّق الوُقوعِ، وفيه إيماءٌ إلى تكلّف المشركين ومبالغتهم في التّمسّك بمَن هم دونَ اللّهِ تعالى، كما تدلُّ عليه صيغةُ الافتعال في ﴿ٱتَّخَذُواْ﴾؛ وذلك لأنّ اتّخاذ الشّيء لا يكون إلّا بشدّة الحرص والسّعي الباعث على تحصيله، فهم قد عالجوا فِطَرَهم الشّاهدةَ بذلك، بشهادة أوقات الاضطرار حتّى لَفَتوها عنه سُبْحانَه[1]، ولذلك جاءَت صيغةُ (الاتِّخاذ) في الخطابِ القرآنيِّ عن الشَّياطين ومَن يوالَى مِن دون اللّهِ؛ تقبيحًا لَهُم وتشنيعًا علَيْهِم؛ لِما في مولاتِهم من الرَّغبة والحِرص مَظِنّة النَّفْع. وضَميرُ الجماعةِ (الواو) في ﴿ٱتَّخَذُواْ﴾ عائدٌ إلى كُفّار مكَّة الذين اتَّخَذوا آلهةً فعَبَدوها من دون اللّهِ[2]، ويجوز عودُهُ إلى عموم المشركينَ المتَّخِذين أولياءَ مِنْ دون اللّهِ سُبحانَهُ.

الغرَضُ من تقديمِ الجارِّ والمجرورِّ ﴿مِن دُونِهِۦٓ﴾:

حَقارَةُ مَعْبوداتِ المُـشْـركـيـنَ، وانـحـطـاطُ أقْدارِها

قُدِّم الجارُّ والمجرورُ ﴿مِن دُونِهِۦٓ﴾ على المفعول بهِ ﴿أَوْلِيَآءَ﴾ مِنْ قول الله تَعالى: ﴿أَمِ ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ﴾؛ للإشارة ابتداءً إلى انحطاط قدرِ الأولياء الذين اتَّخَذهم المُشْركون، وفيه مبالغَةٌ في الإنكارِ عَلى إشْراكِهم باللّهِ تَعالى، واتِّخاذِهم مِنْ دونِه جَماداتٍ عجزَت عن تحصيلِ المَنافع لأنفسها أو دفعِ المضارِّ عَنْها، فضلًا عن أن يكون ذلك لِغَيْرِها[3].

مَعْنى الفاءِ ودِلالَتُها في ﴿فَٱللَّهُ هُوَ ٱلْوَلِيُّ﴾:

ضَلالُ المُشْركينَ في موالاتِهم غيرَ اللهِ سُبْحانه

الفاء في ﴿فَٱللَّهُ﴾ مِنْ قولِ اللّهِ ﷻ: ﴿فَٱللَّهُ هُوَ ٱلْوَلِيُّ﴾ رابطةٌ

(1) البقاعيّ، نظم الدّرر: 17/ 253.
(2) ابن الجوزيّ، زاد المسير: 4/ 59.
(3) النّيسابوريّ، غرائب القرآن: 4/ 150.

لجوابِ شَرْطٍ مقدّرٍ دلَّ عليهِ مقامُ إنكارِ اتِّخاذهم أولياءَ من دون اللّه تَعالى؛ ذلك لأنَّ إنكارَ ذلكَ يستلزِمُ أنَّ أولياءَهم ليسَت حقيقةً بالولايَةِ، وأنّهم ضلّوا في اتِّخاذِهم إيّاها أولياءَ، فترتَّب عليهِ تقديرُ شرطٍ، تقديرُهُ: إن أرادوا وليًّا بحقٍّ؛ فاللّهُ هو الوليُّ[1]. ويجوزُ أن تكونَ الفاءُ تعليليَّةً سببيَّة داخِلَةً على السَّبب؛ لكونِ ذِكْره مسبَّبًا عن ذِكْرِ السَّبب، فانْحِصارُ الوليِّ في اللّهِ تعالى سببٌ لإنكار اتِّخاذ الأولياءِ مِن دونِه[2].

الغَرَضُ مِن حَذْفِ فعلِ الشَّرط:

حُذف فعلُ الشَّرط مِنْ قولِ اللّهِ تعالى: ﴿فَٱللَّهُ هُوَ ٱلْوَلِيُّ﴾؛ وهو ممّا يَجوزُ حَذْفُه مع أداتِه إذا دلَّ عليه دليلٌ[3]، والدّليل هنا: سياقُ الآياتِ الكريمة، فكأنَّه قيلَ بعدَ إنكار كلِّ وليٍّ سواهُ: إن أرادوا وليًّا بحقٍّ؛ فاللّهُ ﷻ هو الوليُّ بالحقِّ، لا وليَّ سِواه[4]. وحُذف إيجازًا واقتصادًا في اللَّفظ؛ لِظُهور مَعْنى المَحْذوفِ، وإبرازًا لأحقيَّة اللّهِ تَعالى بكلِّ ولايَةٍ.

أَحَقِّيَّةُ اللهِ تَعالى بالولايَةِ الكاملةِ

دلالَةُ التَّعبير بالجُمْلَةِ الاسميَّةِ ﴿فَٱللَّهُ هُوَ ٱلْوَلِيُّ﴾:

جاءت جُمْلَةُ جوابِ الشَّرطِ في قول اللّهِ تعالى: ﴿فَٱللَّهُ هُوَ ٱلْوَلِيُّ﴾ اسميَّةً؛ لإفادة الدَّوام والثّبات؛ تأكيدًا لنَفْي الولايةِ عَنِ المُشْركين، وإفادةِ ثُبوتِ الولايةِ لَهُ ﷻ. ووجهُ التَّأكيدِ هاهُنا: وُرودُ الجُمْلَةِ ردًّا على زَعْمِ المُشْركين اتِّخاذَهم مِن دون اللّهِ أولياءَ.

تَأْكِيدُ نَفْيِ الوِلايَةِ عَنِ المُشْرِكينَ

دلالةُ التَّعبير بالاسْمِ الأحسَنِ (الله):

جاء التَّعبيرُ عن المُسْنَدِ إليه بالاسْمِ الأحسَنِ (اللّه) في قولِ اللّه سُبْحانَه: ﴿فَٱللَّهُ هُوَ ٱلْوَلِيُّ﴾؛ لاخْتِصاصِهِ بالرَّبِّ المعبودِ بالحقِّ، وما

مقامُ الرَّدِّ على مَزاعِمِ المُشْركينَ يَقْتَضي الزَّجْرَ والتَّخويف

(1) الزّمخشريّ، الكشّاف: 4/ 211، وابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 25/ 40.
(2) الآلوسيّ، روح المعاني: 8/ 291.
(3) ابن الشّجريّ، الأمالي: 1/ 341، وابن عصفور، المقرّب: 1/ 276، وابن مالك، التّسهيل، ص: 238.
(4) الزّمخشريّ، الكشّاف: 4/ 211، وابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 25/ 40.

يتضمَّنه هذا الاسمُ مِن معاني الجلال والجمالِ والكَمال، وهذا أنسَبُ لمَقام الرَّدِّ على المُشْركينَ في زَعْمِهِم وُجودَ وليٍّ ينفَعُهم من دونِ اللّه تعالى. فكانَ التَّعبيرُ بالاسمِ الأحسن أدخلَ في التَّخويف والزَّجر. وفيه تربيَةُ المَهابَةِ في نُفوس المُخاطَبين، بخلاف اسْمِ (الرَّبِّ) فإنَّه دالٌّ على التَّربية والإنعامِ والإحْسانِ.

بلاغَةُ أُسْلوبِ القَصْرِ، ودِلالَةُ ضَميرِ الفَصْلِ في قولِهِ: ﴿فَٱللَّهُ هُوَ ٱلْوَلِيُّ﴾:

بيانُ كمالِ ولايَةِ اللهِ تَعالى

في قول اللّه سبحانه: ﴿فَٱللَّهُ هُوَ ٱلْوَلِيُّ﴾ أسلوبُ قَصْرٍ، وذلكَ بتَعْريفِ طَرَفَي الإسْنادِ؛ فالمُسْنَدُ إليه (اللّه) وهو أعرَفُ المَعارف، و﴿ٱلْوَلِيُّ﴾ معرَّف بـ (أل) وهو المَقْصورُ، فقُصِرَتِ الولايَةُ الحقَّةُ الكامِلَةُ عَلى اللّهِ سُبْحانه[1]، فكأنَّ وِلايَةَ غيرِهِ بالنِّسْبَةِ إلى وِلايَتِه سُبْحانَه غيرُ موجودَةٍ. وأفادَ ضميرُ الفَصْلِ في قوله: ﴿هُوَ ٱلْوَلِيُّ﴾ تأكيدَ القَصْرِ وتقويَتَهُ لا إنشاءَ القَصْر؛ إذِ القَصْرُ مُسْتفادٌ مِن تعريفِ طَرَفَي الجُمْلَة، ولا يجتَمِعُ في الجُمْلة طَريقانِ مِن طُرُق القَصر. ونُكْتَةُ تأكيدِ القَصْرِ: التَّذكيرُ باخْتِصاص الولايَةِ باللّهِ تَعالى، وهذا مَسوقٌ إلى النَّبيِّ ﷺ والمؤمنين تسليَةً وتثبيتًا، وتعريضًا بالمُشْركين؛ فإنَّ حالَهُم لا يَخْلو مِن أن يَسْمَعوا هذا الخِطاب[2].

بلاغَةُ الإدْماجِ في قولِهِ: ﴿وَهُوَ يُحْيِ ٱلْمَوْتَىٰ﴾:

إبطالُ الأولياءِ مِن دونِ اللهِ هدمٌ لعَلائقِ الشِّرك

قولُ اللّهِ تَعالى: ﴿وَهُوَ يُحْيِ ٱلْمَوْتَىٰ﴾ معطوفٌ على قوله: ﴿فَٱللَّهُ هُوَ ٱلْوَلِيُّ﴾، وجيءَ به إدماجًا لإعادَةِ إثْباتِ البَعْثِ والنُّشور؛ ترسيخًا لعِلْم أهلِ الإيمان، وإبلاغًا لمَسامِعِ المُنْكِرينَ لَهُ؛ وذلك لأنَّهم لَمّا اتَّخذوا أولياءَ مِن دونِ اللّه تَعالى؛ كان ذلكَ إنْكارًا ضِمْنيًّا للبعث، فأبطلَ اللّهُ سُبْحانَه اعتقادَهُم إلهيَّةَ غيرِ اللّه سُبْحانَه، وأتْبَعَهُ بإبْطالِ ما هو مِن مُتَعَلّقاتِ شِرْكِهِم، وهو نَفْيُ البَعْثِ والنُّشور[3].

(1) الهرريّ، تفسير حدائق الرّوح: 26/ 86.
(2) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 25/ 40.
(3) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 25/ 40، والزّمخشريّ، الكشّاف: 4/ 211.

دلالةُ تقديمِ المسندِ إليه على المسنَدِ الفِعْليّ ﴿يُحْيِ﴾:

التَّأكيد على إحياءِ اللهِ تَعالى المَوْتى

قُدِّم المسنَدُ إليه (هوَ) على المسنَدِ الفعليِّ ﴿يُحْيِ﴾ من قولِ اللّه تعالى: ﴿وَهُوَ يُحْيِ ٱلْمَوْتَىٰ﴾؛ تأكيدًا لمَضْمونِ الجملةِ، ووجهُ التَّأكيد ما في الجُمْلَةِ مِن تَكرار النِّسْبَة؛ إذْ أُسْنِدَ فعلُ الإحياءِ إلى الضَّمير البارزِ المُنْفَصِل (هوَ)، وأُسندَ أيضًا إلى الضَّمير المُسْتَتِر فيه، فكانت النِّسبةُ مكرَّرةً، وهذا يَقْتَضي توكيدًا وتقويةً لمَضْمونِها؛ لجلالَةِ مَعْناها. وفي تقديمِ المُسْنَدِ إليه لفتُ انتباهِ المُخاطَب للخبر المسوق إليه، وتهيئَةُ نفسِه لقَبولِه وتصديقِه.

دلالَةُ التَّعبير بالفعلِ المُضارِعِ ﴿يُحْيِ﴾:

إحياءُ اللهِ تَعالى المَوْتى يومَ القيامَةِ أمرٌ متحَقّقُ الوُقوعِ

عُبِّر بالفِعْلِ المُضارع ﴿يُحْيِ﴾ من قَوْلِ اللهِ تَعالى: ﴿وَهُوَ يُحْيِ ٱلْمَوْتَىٰ﴾؛ للدّلالة على التَّجدُّد والاستمرار؛ إذِ الفِعْلُ المُضارع يدلُّ على هذا، وأفادَ ذلك في الآية الكَريمَة أنَّ إحياءَ اللّهِ تعالى الموتى أمرٌ مستمرٌّ ومتجدِّد. فإنَّ العبادَ قبلَ خَلْقِهم يوصَفونَ بالمَوْتِ، وخَلْقُهُم إحياءٌ لهم، كما قال اللّه سُبحانه: ﴿كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِٱللَّهِ وَكُنتُمْ أَمْوَٰتًا فَأَحْيَٰكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ﴾ [البقرة: 28]. وإذا أُريدَ بالمَوْتى في آية الشّورى مَن ماتَ بعدَ حياتِه، وبالإحياءِ: الإحياءُ الحاصلُ يومَ القيامة؛ فإنَّ في التَّعبير بالفعل المُضارع تصويرًا للإحياءِ في صورة الحاصلِ وقتَ الخِطاب، مبالغَةً في إثباتِ وُقوعِه وتحقُّقه.

دلالَةُ تَعْريفِ ﴿ٱلْمَوْتَىٰ﴾:

شُمولُ قُدْرَةِ الله تعالى في إحياءِ المَوْتى

لفظ ﴿ٱلْمَوْتَىٰ﴾ في قول اللّه تعالى: ﴿وَهُوَ يُحْيِ ٱلْمَوْتَىٰ﴾ معرفٌ بـ (أل) الجنسيّة الاستغراقيَّة، المفيدةِ الشُّمولَ والعُموم، فيشمل جميعَ المَوْتى من غيرِ استثناءٍ؛ إذْ قُدْرَةُ اللّهِ سُبحانَهُ مطلقة شاملةٌ إحياءَ كُلِّ مَن نُزِعَت منهُ الحياة[1]، بل يدخلُ فيه من لم يَحْيَ بعدُ؛ فإنَّ من لم يَحْيَ

(1) محمد جبل، المعجم الاشتقاقيّ المؤصّل: (موت).

يَصِحّ وصْفُه بالموت، كما دلَّ عليه قولُ الله سُبحانه: ﴿كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِٱللَّهِ وَكُنتُمْ أَمْوَٰتًا فَأَحْيَٰكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ﴾ [البقرة: 28]، وإحياءُ هذا يكونُ بخَلْقِه. كيف لا يكون ذلك وهو باعثُ الحياة، فأمرُ الإعادة أهونُ عليه، ومن كان ذلك شأنُه كان أحقّ بالولاية والعبوديّة.

مَعْنى الواوِ ودِلالَتُها في ﴿وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾:

إثـبـاتُ صِـفَـةِ القُدْرَةِ لله تَعالى اسْـتِـدْلالًا على إحياءِ المَوْتى

الواوُ في ﴿وَهُوَ﴾ من قول الله تعالى: ﴿وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾ عاطفةٌ الجُمْلَةَ بعدَها على جُمْلَةِ ﴿وَهُوَ يُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰ﴾؛ لِما بَيْنَهُما مِنَ التَّوسُّط بين الكَمالَيْن؛ لاتِّحادِهما خبرًا، وبينَهُما تناسُبٌ في اللَّفظ، وهو اشتراكُهُما في الاسميَّة، واتِّحادُ المُسْنَدِ إليه فيهما، وبينَهُما تناسُبٌ في المَعْنى؛ وهو انْدِراجُ مَعْنى الأولى في الثّانية. وجُمْلَةُ ﴿وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾ فيها إثباتُ صِفَةِ القُدْرَةِ الكاملَة لله تَعالى، فالجُمْلَةُ واردةٌ موردَ الاسْتِدْلالِ على إمكانِ البَعْثِ المَذْكورِ في الجُمْلَةِ قبلَها، ويُفيدُ الاستدلالُ نفيَ الإلَهيَّة عن أصنامِهم؛ لأنَّ مَن لا يَقْدِرُ على كلِّ شيءٍ لا يَصْلُحُ للإلهيَّة، والغَرَضُ مِن هذا: تعريضٌ بإبلاغِه إلى مسامِعِ المُشْرِكين[1].

الغَرَضُ مِن تقديمِ الجارِّ والمَجْرورِ في ﴿عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ﴾:

تـأكـيـدُ عُـمـومِ قُـدْرَةِ الله تَعالى وسَعَتِها

جاءَ الجارُّ والمجرورُ ﴿عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ﴾ في قولِ اللهِ تَعالى: ﴿وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾؛ للدّلالَةِ عَلى الاهْتِمام؛ تَأْكيدًا لِمَعْنى عُموم قُدْرَتِه تَعالى، ويَلْزَمُ مِن تَقْديمِه أيضًا تَأْخيرُ ﴿قَدِيرٌ﴾، وذَلِكَ أنسَبُ لِفَواصِلِ الآي؛ إذ آخِرُ الآيَةِ قبلَها: ﴿وَٱلظَّٰلِمُونَ مَا لَهُم مِّن وَلِىٍّ وَلَا نَصِيرٍ﴾، وهذه الجملة تذييلٌ غيرُ جارٍ مجرى المَثَلِ، والقصد مِنْها: التَّأْكيدُ على قُدْرَةِ الله تعالى، وفي هذا التَّذييل وعدٌ للمُصَدِّقين، ووعيدٌ وتَرْهيبٌ للمُشْرِكينَ المُكذِّبينَ[2].

(1) ابن عاشور التّحرير والتّنوير: 25/ 40.

(2) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 28/ 261.

مَعْنى ﴿عَلَىٰ﴾ ودِلالَتُها في ﴿عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾:

الإحـاطَـةُ بالمَخلوقاتِ عِلْمًا وقُـدْرةً دليـلُ الرُّبوبيَّة الحقَّة

﴿عَلَىٰ﴾ من قول اللهِ تَعالى: ﴿وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ حرفُ جَرٍّ دالٌّ على الاستعلاءِ، والاستعلاءُ يَقْتَضي الإحاطَةَ والتَّمكُّنَ والقُدْرَة، فيكون قولُهُ سُبْحانَه: ﴿وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ دالًّا على القُدْرَةِ الكاملَةِ الشّامِلَة، وأنَّه سُبْحانَهُ قادِرٌ على التَّصرُّف وعلى إيجادِ الأعْيانِ المُتَصَرَّفِ فيها وإيجادِ عَوارِضِها[1]. وهذه الجُمْلَةُ في خاتِمَةِ الآيَةِ هيَ مِن باب التَّعميم بعدَ التَّخصيص[2]، فإحْياءُ المَوْتى مندرِجٌ تحتَ قُدْرَةِ اللهِ تَعالى على كُلِّ شيءٍ، وعديمُ الإحاطَةِ لا يكونُ ربًّا ولا إلَهًا[3].

دلالةُ لفظِ ﴿كُلِّ﴾ والغَرَضُ مِنَ الإضافَةِ في ﴿كُلِّ شَيْءٍ﴾:

التَّأكيدُ عَلى سَعَةِ قُدْرَةِ الله تَعالى وعُمومِها

﴿كُلِّ﴾ من قول اللهِ سُبحانَهُ: ﴿وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ اسمٌ يدلُّ على الاسْتِغْراقِ والإحاطَةِ بالأفرادِ والأجزاءِ، وهيَ أقوى صيَغِ العُموم؛ لصِحَّة دُخولِها على العاقِلِ وغيرِهِ. وقد أُضيفَتْ إلى لَفْظِ ﴿شَيْءٍ﴾، وهي مِن أعمِّ الألفاظِ الدّالَّة على جميعِ المَعاني. وفي إضافة ﴿كُلِّ﴾ إلى النَّكرة مبالغَةٌ في الدّلالة على العُموم، فكانت الإضافَةُ دالَّةً على إحاطَةِ قُدْرَةِ اللهِ تَعالى المُطْلَقَة، وتقريرًا لاتِّساعِها، وتأكيدًا لسياقِ المَعْنى.

الغَرَضُ مِنَ التَّعبيرِ بِصيغَةِ ﴿قَدِيرٌ﴾:

مَـن عَـظُـمَـت قُـدْرَتُـه واتَّسعت؛ كان حقيقًا بأنْ يُتَّخذَ وليًّا

جاء التَّعبيرُ عن القدرةِ بصيغَةِ ﴿قَدِيرٌ﴾ على وزن (فَعيل)؛ وهيَ مِنْ أوزانِ المبالغَةِ، وتدلُّ على الاستمرارِ والدَّوام وثباتِ الصِّفة[4]، وجيء بها مُنَكَّرةً؛ دِلالَةً على العُموم والإطلاقِ، وإظهارًا لاتِّساع القُدْرَةِ وإحاطَتِها بجميعِ المَخْلوقاتِ، فهو الحَقيقُ بأنْ يُتَّخذ وليًّا، دونَ مَن لا يَقْدِرُ على شَيْءٍ[5].

---

(1) الآلوسيّ، روح المعاني: 15/ 4.
(2) القونويّ، حاشية على تفسير البيضاوي: 17/ 205.
(3) العمرانيّ، الانتصار: 1/ 53.
(4) السّامرائيّ، صيغ المبالغة، ص: 234.
(5) الزّمخشريّ، الكشّاف: 4/ 211.

﴿وَمَا ٱخۡتَلَفۡتُمۡ فِيهِ مِن شَيۡءٖ فَحُكۡمُهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِۚ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبِّي عَلَيۡهِ تَوَكَّلۡتُ وَإِلَيۡهِ أُنِيبُ ١٠﴾ [الشّورى: 10]

❁ مُناسَبَةُ الآيَةِ لِما قبلَها:

وُجوبُ الاحْتِكامِ إلى الشَّرعِ المُنَزَّل

لمّا وصف اللّهُ ﷻ نفسَه بالوحدانيَّة، وقَصَر الولايةَ الكاملَةَ عليه، وكَذا إحياءَ المَوْتى والقُدرةَ المُطْلَقَة على كُلِّ شيء، وكان أهلُ الإسلام كلُّهم مُقِرّين مُصَدِّقين بذلكَ كُلِّه؛ ناسَب أن يُبَيِّن لَهُم أنَّ ما يَدْخُلُه التَّنازعُ يجبُ ردُّه إلى اللّهِ تَعالى، فما حَكَمَ به كتابُ اللّهِ ﷻ وسُنَّةُ رسولِه ﷺ وشَهِدا له بالصِّحّة فهو الحقُّ، وما عدا ذلك فَهو الباطِل[1].

❁ شَرْحُ المُفْرَداتِ:

1) ﴿ٱخۡتَلَفۡتُمۡ﴾: (خلف) تَدورُ اشْتِقاقاتُها على كَوْنٍ أو بقيَّةٍ بعدَ ذاهِبٍ أو وراءَهُ في ظَهْرِه. ومِنْهُ قولهم: خلفَ فلانٌ فلانًا؛ إذا جاء بعدَهُ، كما قال اللّه تَعالى: ﴿فَخَلَفَ مِنۢ بَعۡدِهِمۡ خَلۡفٞ﴾ [الأعراف: 169]، ومن هذا البابِ: الاختلافُ؛ وهو عدم الاتِّفاق على رأيٍ أو حُكم، وسمّيَ اختلافًا؛ كأنّ كلَّ واحدٍ من المختلفين يذهب إلى ما جعلَهُ غيرُهُ خَلْفَهُ[2]، ومنه قول اللّهُ تعالى: ﴿وَمَا ٱخۡتَلَفۡتُمۡ فِيهِ مِن شَيۡءٖ﴾.

2) ﴿فَحُكۡمُهُۥٓ﴾: (حكم) تدلُّ اشتقاقاتُها على المَنْع[3]، وقيَّده الرّاغبُ بكونِه مَنْعًا للإصلاح[4]. ومِنْهُ حَكَمَةُ الدّابةِ؛ لأنَّها تَمْنَعُها من مخالفة الرّاكب[5]. والحُكم في الآية يعني: المَرَدَّ والمَرْجِع، وهو لا

(1) البقاعيّ، نظم الدّرر: 17/ 454، وابن كثير، تفسير القرآن العظيم: 1/ 530.
(2) محمد جبل، المعجم الاشتقاقيّ المؤصّل: (خلف).
(3) ابن فارس، مقاييس اللُّغة: (حكم).
(4) الرّاغب، المفردات: (حكم).
(5) ابن الأثير، النِّهاية في غريب الحديث والأثر: (حكم).

يكون إلّا للّه تعالى، ليس لأحد سواه، وهو يَرجِعُ إلى مَعْنى القضاءِ؛ وسُمّي القضاءُ حُكمًا؛ لأنّ فيه منعَ الظّالمِ من الظُّلْمِ[1].

❁ المَعْنى الإجْماليُّ:

حَسْمُ النِّزاعِ بِحُكْمِ الشَّرع

يُبَيِّن اللّهُ تَعالى أنَّ كُلَّ ما يَخْتَلِفُ فيه النّاسُ من أمرٍ يتعلّق بدينِهم؛ فَإنَّ الحُكْمَ فيهِ عائِدٌ إلى اللّهِ ﷻ وحدَهُ، في كتابِهِ العَزيز وسُنَّةِ نبيِّه ﷺ. ذلكم اللّهُ ربّي الذي عليهِ وحْدَهُ أتوكَّل في جميع شُؤوني، وإليهِ وحدَهُ أنيبُ وأفْزَعُ في كُلِّ أُموري[2].

❁ الإيضاحُ اللُّغويُّ والبَلاغيُّ:

معنى الواوِ ودِلالَتُها في ﴿وَمَا ٱخْتَلَفْتُمْ﴾:

اخْتِلافُ الفَرِيقَيْنِ في أُصولِ العَقائدِ الدّينيَّة

الواوُ في ﴿وَمَا﴾ مِنْ قولِ اللّه تعالى: ﴿وَمَا ٱخْتَلَفْتُمْ﴾ عاطفَةٌ الجملةَ بعدها على الجملِ التي قبلها؛ إذ إنَّ الكلام موجَّه إلى النَّبيِّ ﷺ وإلى أهل الإسلام. والواوُ عاطفةٌ فعلَ أمْرٍ بالقَوْلِ، والتَّقدير: وقُلْ: ما اختلفتُمْ فيه مِنْ شيءٍ فحُكْمُهُ إلى اللّهِ. وحَذْفُ القولِ كثيرٌ في القرآن الكريم إذا دلَّت القرائنُ عليه؛ وذلك لأنَّ مادَّة الاختلافِ التي دلَّ عليه فعلُ ﴿ٱخْتَلَفْتُمْ﴾ مُنبئةٌ بأنَّه بين فَريقَيْنِ، وحالُ الفَريقَيْن تومِئُ إلى أنَّ الاختلافَ حاصلٌ في العقائدِ التي أنكرها الكافرونَ، مِنَ التَّوحيد والبعثِ والنَّفع والإضرارِ[3].

الغَرَضُ مِنَ التَّعبيرِ بـ(ما)، ودِلالَتُها:

وُجوبُ رَدِّ جميعِ المُتَنازَعِ فيهِ إلى حُكْمِ الله تعالى

(ما) في قولِ اللّهِ تَعالى: ﴿وَمَا ٱخْتَلَفْتُمْ﴾ يجوزُ أن تكونَ شَرْطيَّة، وهي في محلِّ رفعٍ مبتدَأٌ، وذلك يُفيدُ تقييدَ الجُملة وربطَ الشَّرط بجوابه؛ وهو ممّا يُثير في نفس المخاطَب توقُّعَ حصولِ الجَواب؛ وهوَ وجوبُ الرَّدِّ إلى اللّه سُبحانَهُ ورَسولِهِ ﷺ عِندَ حصولِ الاخْتِلافِ.

(1) الأزهريّ، تهذيب اللُّغة: (حكم).
(2) نخبة من أساتذة التّفسير، التّفسير الميسر، ص: 483.
(3) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 25/ 41.

ويجوزُ أن تكون (ما) موصولَةً، وذلك أنَّ (ما) إن جاء بعدها فعلٌ ماضٍ - كما في هذه الآية - جازَ عندَ سيبوَيْهِ أن تكون موصولَةً أو أن تكونَ شرطيَّة[1]. وفي كونِها مَوْصولَةً تأكيدٌ للإحاطَةِ والشُّمول مع الإيجاز؛ لأنَّ الاسمَ الموصولَ من الألفاظِ المفيدةِ العمومَ. وفيه إبهامٌ جاءَ بيانُهُ في جملة الصِّلة؛ وهوَ أنَّ الذي وقَعَ فيهِ اختلافُكُم بيانُهُ خاصّ باللّه تَعالى ورسولِهِ الكريم ﷺ.

دلالةُ التَّعبير بالاختلافِ مادَّةً وصيغةً:

الاخْـتِـلافُ ممّا قَـدَّر اللهُ تَعالى وُقوعَهُ كَوْنًا

عُبِّر بالاختلاف في قول اللّهِ تعالى: ﴿وَمَا ٱخْتَلَفْتُمْ﴾ دونَ فعلِ التَّنازعِ؛ فلم يَرِد النَّظمُ القرآنيُّ: (وما تنازعتم)؛ لِأنَّ الاختلافَ أعمُّ وأشمَلُ من التَّنازع، وذلك لأنَّ الاختلافَ يَرِدُ غالبًا بلا مُنازَعةٍ، بخلافِ المُنازَعة؛ فهي اختلافٌ فيما يُنكرُ مَعَ مُعاداةٍ ومُخاصَمة[2]، فاختارَ النَّظمُ القرآنيُّ اللَّفظَ الأعمَّ، وليكونَ حسمًا لمادَّةِ النِّزاع قبلَ وقوعِها. واختارَ البيانُ القرآنيُّ التَّعْبيرَ بالفِعْلِ الماضي في قولِ اللّهِ تَعالى: ﴿وَمَا ٱخْتَلَفْتُمْ﴾ مرادًا به الاسْتِقْبالُ؛ للإيماءِ إلى تحقُّقِ الوقوعِ، فكما لا شكَّ في حدوثِ الفعل المادي الذي تَمَّ ووقعَ، كذلك لا شكَّ في وقوعِ هذا الاختلاف؛ فهو حاصلٌ لا محالةَ، وهو ممّا شاءَ اللّهُ تعالى وقوعَهُ كَوْنًا. ويجوزُ أن يكونَ المُرادُ بالفعلِ الماضي مَعْنى المُضيِّ، أي: ما وقَعَ فيهِ الاختلافُ قَطْعًا؛ فيُرجَعُ فيهِ إلى حُكْمِ اللّهِ تَعالى.

ولا مانعَ مِن إرادةِ المَعْنَيَيْنِ معًا؛ حَمْلًا للَّفْظِ على حقيقتِهِ ومجازِهِ، عِنْدَ مَن يُجوِّز حملَ اللَّفظِ المشتَرَكِ على معنَيَيْهِ أو معانيهِ، وهو الصَّحيحُ المختارُ.

مَعْنى ﴿مِن﴾ ودِلالَةُ تنكيرِ لَفْظِ ﴿شَيْءٍ﴾:

رَدُّ المُخْتَلَفِ فيهِ إلى حُكْمِ الشَّرعِ عـامٌّ في كُـلِّ خلافٍ

﴿مِن﴾ في قولِ اللّه تعالى: ﴿وَمَا ٱخْتَلَفْتُمْ فِيهِ مِن شَيْءٍ﴾ بيانيَّةٌ؛

(1) الرّضيّ، شرح الكافية: 2/ 240.

(2) الرّاغب، المفردات: (اختلف)، والعسكريّ، الفروق اللّغويّة، ص: 64.

وذلك لتقدُّم (ما) وهي مبهَمَةٌ، سواءٌ حُمِلَت على مَعْنى الشَّرطيَّة أو الموصوليَّة. ونُكِّرَ لفظُ ﴿شَيْءٍ﴾ للدّلالة على العموم والشُّمولِ لوقوعِهِ في سياقِ الشَّرطِ. وإذا حَمَلْنا (ما) على الموصوليَّة؛ فإنَّ العمومَ مستفادٌ مِنْها، و﴿مِن شَيْءٍ﴾ بيانٌ وإيضاحٌ. فيكونُ رَدُّ حُكمِ المختلَفِ فيه أيًّا كانَ إنَّما هو إلى اللّهِ تَعالى[1].

معنى الفاءِ في ﴿فَحُكْمُهُۥٓ﴾:

رَبْطُ الجَوابِ بِشَرْطِه؛ تهيئةً للمُخاطَبِ وتَنْبيهًا لَهُ

الفاءُ في قولِ اللّهِ ﷻ: ﴿فَحُكْمُهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِ﴾ رابطَةٌ لجوابِ الشَّرطِ، إن جُعِلت (ما) شرطيَّة. وإن جُعِلت (ما) اسمًا موصولًا مبتدأً؛ فالجُمْلَةُ الفعليَّة ﴿ٱخْتَلَفْتُمْ فِيهِ مِن شَيْءٍ﴾ صِلَتُها، والجملة الاسميَّة: ﴿فَحُكْمُهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِ﴾ خبرُها، وإنَّما ساغ اقتران الخبر بالفاءِ؛ لأنّ الموصولَ يُشْبِهُ الشَّرط في العموم. وعلى الاعْتِبارَيْنِ فالجُمْلَةُ الاسميَّة مستأنفَةٌ لا محلَّ لها مِنَ الإعرابِ[2].

دلالَةُ التَّعبير بالمَصْدَرِ (حكمه):

التَّأكيدُ عَلى وُجوبِ التَّحاكُم إلى الشَّرع عندَ وُجودِ الاخْتِلافِ

جاء التَّعبيرُ بالمَصْدَرِ الصَّريح (حُكْمُهُ) في قولِ الله تعالى: ﴿فَحُكْمُهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِ﴾؛ ليدلَّ على الحدث مُجرَّدًا عن الزَّمن؛ إذْ ليس في صيغة المَصْدَر ما يدلُّ على مُضيٍّ ولا استقبالٍ، فالمَصْدَرُ يقوم بنفسِه في المعنى. والتَّعبيرُ في هذا السّياق بالمصدر الصّريح لكون الحدثِ ممّا يجب إيقاعُهُ، وهو الاحتكام إلى الشَّرع المُنَزَّل. فكانت جملةُ ﴿فَحُكْمُهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِ﴾ جملةً خبريَّة في اللَّفظ، والمراد بها الأمر، أي: فاحتَكِموا فيه إلى اللّهِ تعالى. وفي التَّعبير عن الأمر بالخبر إيماءٌ إلى التَّأكيد على امتثالِه أشدَّ تأكيدٍ وأبلَغَهُ.

معنى ﴿إِلَى﴾ ودِلالَتُها في ﴿إِلَى ٱللَّهِ﴾:

﴿إِلَى﴾ في قولِ اللّهِ تَعالى: ﴿فَحُكْمُهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِ﴾ حرفٌ دالٌّ على

(1) سليمان، من أسرار التّعريف والتّنكير، ص: 230.
(2) الدّرّة، تفسير القرآن وإعرابه: 8/ 949.

انتهاءِ الغايَةِ، وهي هنا للانتهاءِ المجازيِّ، والمرادُ بها التَّمثيلُ، فقد مُثِّلَ تأخيرُ الحُكْم إلى حلول الوقت المعيّن له عِنْدَ اللهِ سُبحانَهُ، بسيرِ السّائرِ إلى أحدٍ ينزلُ عِنْدَهُ[1]، وفيه إبرازُ المَعْنَويِّ في صورةِ المَحْسوسِ، وذلكَ أعلَقُ بالذِّهن وأثبَتُ.

تَرْسيخُ المَعاني بإخْراجِها في صُورَةِ المَحْسوساتِ

موقِعُ جُمْلَةِ ﴿ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبِّي﴾ ممّا قبلَها:

الجملةُ في قول اللهِ تَعالى: ﴿ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبِّي عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ﴾ واقعةٌ موقعَ مقولٍ لقَوْلٍ محذوفٍ، دلَّ عليه قولُهُ سُبحانَهُ قبلُ: ﴿لِّتُنذِرَ أُمَّ ٱلْقُرَىٰ﴾، فتكونُ بذلكَ كلامًا مُسْتَأنفًا؛ إذِ الإنذارُ يَقْتَضي كلامًا مُنْذَرًا به. ويجوز أن تكونَ الجملةُ مُتَّصلة بجملةِ ﴿وَمَا ٱخْتَلَفْتُمْ فِيهِ مِن شَيْءٍ﴾ تتمَّةً للكلام الموجَّه من اللهِ ﷻ، ويكون في قوله: ﴿رَبِّي﴾ التفاتٌ من الخِطاب إلى التَّكلُّم، والأصلُ: ذلكُمُ اللهُ ربُّكم. وتكون جملتا ﴿عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ﴾ مُعْتَرِضَتَيْنِ[2]. وفي هذا الالتفاتِ إظهارٌ للقُرْبِ والاختصاصِ.

في الالتفاتِ إيماءٌ إلى مَعْنى القُرْبِ والاخْتِصاصِ

الغرضُ مِنَ التَّعبير باسمِ الإشارَةِ ﴿ذَٰلِكُمُ﴾:

عُبِّر باسم الإشارة ﴿ذَٰلِكُمُ﴾ مِنْ قول الله تعالى: ﴿ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبِّي﴾، وهو دالٌّ على البُعْدِ؛ لإرادةِ التَّعظيم والتَّفخيم والدّلالةِ على شرفِ القَدْرِ ورِفْعَةِ المَنْزِلةِ، والمعنى: ذلكمُ اللهُ العظيمُ. ويلزَمُ من هذا تعظيمُ حُكْمِهِ، فالمعنى: اللهُ العظيمُ في حُكْمِه هو رَبّي الذي توكَّلت عليه، فهو كافيني مِنْكُم[3]. وكذا فيه إيماءٌ إلى تعظيمِهِ من حيثُ اتِّصافُه بما تقدَّم من الأوصافِ، مِن كونه تَعالى هو يُحْيي المَوْتى، وكونِه سُبْحانَه على كلِّ شيء قدير، وكونِه ﷻ الحَكَمَ فيما اختلفوا فيهِ؛ فإنَّ الحُكمَ يرجِعُ إليه وحْدَهُ[4]. وفي التَّعبيرِ باسم

عَظَمَةُ اللهِ ﷻ وعظمَةُ حُكْمِهِ وتَشْريعِهِ

(1) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 25/ 41.
(2) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 25/ 42.
(3) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 25/ 42.
(4) الآلوسيّ، روح المعاني: 13/ 17.

الإشارة الدّالِّ على البُعْدِ إيماءٌ إلى بُعْدِ ذاتِه سُبحانَهُ عن ممثالَةِ الذّاوتِ، وبُعْدِ صفاتِهِ عن ممثالةِ أوصافِ المخلوقينَ[1].

سِرُّ الجمعِ بين الاسم الأحسن ﴿ٱللَّهُ﴾ وبينَ اسم (الرّبِّ):

دِقَّةُ البيانِ القُرآنيِّ في رَبْطِ مَطالِعِه بِمَقاطِعِهِ

جُمِعَ بين الاسْم الأحسن ﴿ٱللَّهُ﴾ وبين اسم (الرَّبِّ) في قول الله تعالى: ﴿ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبِّي﴾؛ للجَمْعِ بينَ وصْفَي الأُلوهيَّة والرُّبوبيَّة؛ ليكونَ الثّاني دليلًا على الأوَّل، فاللهُ ﷻ مستحِقُّ العبادةَ لكونِهِ منفردًا بأوصافِ الرُّبوبيَّة. وفي اجتماعِهما أيضًا: ربطٌ للجُمْلَةِ بمَطْلَعِ الآية ومَقْطَعِها؛ فإنَّ الاسم الأحسن ﴿ٱللَّهُ﴾ له تعلُّق بمطلع الآية مِن جهة أنَّ الاختلافَ المَذْكورَ في قولِه: ﴿وَمَا ٱخْتَلَفْتُمْ﴾ يَرْجِعُ أَغْلَبُهُ إلى أمرِ العِبادَةِ، واسم ﴿ٱللَّهُ﴾ تعالى أنسبُ لِهَذا المَعْنى؛ إذْ مَعْناهُ: المألوهُ المَعْبودُ بحقٍّ. واسمُ اللهِ (الرَّبِّ) يتعلَّق بمقطع الآية؛ فإنَّه يدلُّ على طلبِ الرِّعاية والأوبة لله تَعالى، وإجابتُها مِن أفعالِ اللهِ تعالى، وأفعالُه سُبْحانه من أفراد ربوبيَّته ﷻ.

الغرَضُ مِنَ التَّعبير بلفظِ الرُّبوبيَّة مُضافًا إلى ياءِ المتُكَلِّم ﴿رَبِّي﴾:

انفرادُ اللهِ تَعالى بالرُّبوبيَّة دليلُ اسْتِحْقاقِهِ الأُلوهيَّةَ

أُضيفَ اسمُ اللهِ تعالى (الرَّبِّ) إلى ضَميرِ المتكلِّم في قولِ الله تَعالى: ﴿ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبِّي﴾؛ لإرادةِ تشريف المضافِ إليه؛ وهو النَّبيُّ ﷺ، فكان في الإضافة إيماءٌ إلى رفعةِ قَدْرِهِ ﷺ وسموِّ شرفِهِ؛ لإفاضة الله تعالى عليه مِن مَعاني التَّربية والإحسانِ، والتَّعهُّد والرِّعاية. وقُدِّم الاسمُ الأحسَنُ ﴿ٱللَّهُ﴾ الواقعُ مُسْنَدًا إليه على المُسْنَدِ ﴿رَبِّي﴾؛ تقريرًا وتأكيدًا لمعنى الأُلوهيَّةِ واهتمامًا بها؛ لأنَّ النِّزاعَ بين الأنبياءِ وأُمَمِهم كانت حولها، ثُمَّ أُخْبِرَ بلفظِ الرُّبوبيَّة؛ لتنزيلِ الخبرِ منزلةَ الدَّليلِ على استحقاقِ الله تَعالى الألوهيَّةَ، وهو انفرادُهُ بالرُّبوبيَّةِ.

موقِعُ جملةِ ﴿عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ﴾ ممّا قبلَها:

قولُ اللهِ تعالى: ﴿عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ﴾ في موقعِ رفعٍ خبرٌ ثالثٌ للمُبْتَدَأ

(1) العزّ بن عبد السّلام، الإشارة والإيجاز، ص: 443.

﴿ذَٰلِكُمُ﴾[1]. وفيه دلالةٌ على قوَّةِ توكُّلِ النَّبيِّ ﷺ واعتمادِه على ربِّهِ سُبحانَهُ في جميع أمورِهِ؛ إقرارًا بأنَّ اللهَ تَعالى هو الرَّبُّ الكاملُ في رُبوبيَّتِهِ.

عِـظَـمُ تَـوَكُّـلِ النَّبيِّ ﷺ

الغرَضُ مِن تَقْديمِ الجارِّ والمَجْرورِ:

قُدِّم الجارُّ والمجرور في الموضِعَيْنِ من قولِ الله ﷻ: ﴿عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ﴾ للدّلالة على القَصْر والحصر؛ لأنَّ تقديمَ ما حقُّه التَّأخير يُفيدُ ذلك، والمَعْنى: لا أتوكَّل إلّا عليه، ولا أُنيب إلّا إليه[2]، ومقامُ التَّوحيد يَقْتَضي هَذا الأسلوبَ.

قَـصْـرُ التَّـوكُّـلِ والإنابةِ عَلى اللهِ تَعالى

دلالَةُ التَّعْبيرِ بالماضي ﴿تَوَكَّلْتُ﴾، والمُضارع ﴿أُنِيبُ﴾:

إيثارُ التَّعبير بالفعلِ الماضي عن فِعْلِ التَّوكُّل في قول الله تعالى: ﴿عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ﴾، وبالفعل المُضارع عن فِعْلِ الإنابةِ في قولِ الله ﷻ: ﴿وَإِلَيْهِ أُنِيبُ﴾؛ لأنَّ التَّوكُّل أمرٌ واحدٌ مستمرٌّ، فناسبَهُ المُضيّ، ولأنَّ الإنابةَ مُتَعَدِّدة متجدِّدة بحسَب تجدُّد موادِّها، فناسبَها المُضارعُ[3].

كَـمـالُ الـعَـبْـدِ بِـكَـمالِ تَـوَكُّـلِـه وإنابَتِهِ

وهذانِ الأصلانِ كثيرًا ما يَقْرِن اللهُ تعالى بينَهما في القرآنِ الكريم؛ لأنَّه يحصل بمَجْموعِهما كمالُ العَبْدِ، وبفَوْتِهما أو فوتِ واحدٍ منهُما يفوتُهُ الكَمالُ، كَما قالَ اللهُ تَعالى: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ۝٥﴾ [الفاتحة: 5]، وقال سُبْحانَهُ: ﴿فَٱعْبُدْهُ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ﴾ [هود: 123][4].

❁ الفُروقُ المُعجَميَّةُ:

الإنابة والرّجوع:

الرُّجوع: هو المَصير إلى المَوْضِع الذي قَد كانَ فيه قبلُ[5]. والإنابَةُ:

بَـيْـنَ الـرُّجـوعِ والإنـابـةِ عُـمـوم وخُـصـوص وجْهي

(1) صافي، الجدول: 13/ 23.
(2) الهرريّ، حدائق الرّوح والرّيحان: 26/ 53.
(3) الهرريّ، حدائق الرّوح والرّيحان: 26/ 54.
(4) السّعديّ، تيسير الكريم الرّحمن، ص: 753، 754.
(5) العسكريّ، الفروق اللّغويّة، ص: 303.

هيَ الرُّجوع عن مُنْكَر[1] أو الرُّجوع إلى الطّاعة[2]، أو هي الرُّجوع إلى مُنْتَهى القَصْدِ، كما قال اللهُ سُبْحانَهُ: ﴿إِنَّ إِلَيْنَآ إِيَابَهُمْ ۝٢٥﴾ [الغاشية: 25]، كأنَّ اليومَ الآخِر هو مُنْتَهى قَصْدِهِم؛ لأنَّه لا منزلَ لَهُم بعدَها[3].

وبِهَذا يتبَيَّن؛ أنَّ بَيْنَ الرُّجوع والإنابةِ عُمومًا وخُصوصًا وجْهيًّا؛ فيشتركانِ في محلٍّ، وينفَرِدُ كُلٌّ مِنْهُما في محلٍّ آخرَ، فمحَلُّ الاتِّفاقِ: الرُّجوع عن المُنْكَرِ إلى الطّاعة، لمَن كان حالُه عَلى الاستقامَةِ ثُمَّ عدَلَ عنها لعارِض، فرُجوعُه إلى الطّاعَةِ: رجوعٌ وإنابة. وينفَرِدُ الرُّجوع فيمن كان حالُه على الانْحِرافِ، ثُمَّ استقامَ مُدَّةً، ثُمَّ رجع إلى ما كان عليه مِنَ المُنْكَرِ، فهَذا رجوعٌ لا إنابةٌ. وتَنْفَرِدُ الإنابَةُ فيمَن حالُه على غيرِ الاسْتِقامَةِ، ثُمَّ تابَ ولَزِمَ الطّاعة، فهذا مِنْهُ إنابَةٌ لا رُجوعٌ.

(1) أبو حيّان، تحفة الأريب: (نوب).
(2) حموش، التّفسير المأمون: 6/ 681.
(3) العسكريّ، الفروق اللّغويّة، ص: 303.

﴿فَاطِرُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ جَعَلَ لَكُم مِّنۡ أَنفُسِكُمۡ أَزۡوَٰجٗا وَمِنَ ٱلۡأَنۡعَٰمِ أَزۡوَٰجٗا يَذۡرَؤُكُمۡ فِيهِۚ لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٞۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡبَصِيرُ ١١ لَهُۥ مَقَالِيدُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ يَبۡسُطُ ٱلرِّزۡقَ لِمَن يَشَآءُ وَيَقۡدِرُۚ إِنَّهُۥ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٞ ١٢﴾ [الشورى: 11 - 12]

❁ مُناسَبَةُ الآيَتينِ لِما قبلَهُما:

الالتجاء إلى الله تعالى وحده متبوع ببيان أسبابه وجدواه

لمّا ذكر النَّظمُ الجليل في الآية السّابقة أنَّ النَّبيَّ ﷺ وصف الله تعالى بصفات الكمال، من الإحياء والإماتة، والحُكم بين المختلفين، وأنَّه هو ربُّه وحدَه، لا تلك الآلهةُ الَّتي تدّعون من دونه، وحصر توكُّله عليه في جميع شؤونه؛ أتبعه ببيان الأسباب الَّتي تحمله على الالتجاء على الله تعالى وحده، فقال: ﴿فَاطِرُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ﴾، فخالقُ العوالم جميعًا جديرٌ بأن يُعتَمد عليه، ويُستعان به[1].

ومن المناسبة: أنَّه لمّا أُخبِرَ عن الله تعالى بأنَّه على كلِّ شيء قدير في قوله تعالى: ﴿وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ ٩﴾ [الشّورى: 9]؛ أتبعه بخبر ثانٍ عن الضَّمير، فإنَّ خلْقَ السَّماوات والأرض من أبرز آثار صفة القدرة المنفرد بها[2]، ثمَّ أتبع ذلك بما يتسبَّب عنه؛ فلمّا ثبت أنَّه تعالى هو خالق السَّماوات والأرض، وأنَّه لا خالق سواه، وما أتبعه من ذِكر التَّزاوج والتَّناسل وبثِّ المخلوقات؛ أتبع ذلك بما هو كالنَّتيجة ببيان الدَّليل، فلمّا انفرد تعالى بالخلق؛ أتبعه بأنَّه المنفرد بالرِّزق، فقال: ﴿لَهُۥ مَقَالِيدُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ﴾[3].

(1) المراغيّ، تفسير المراغيّ: 25/ 21.
(2) المراغيّ، تفسير المراغيّ: 25/ 43.
(3) البقاعيّ، نظم الدّرر: 17/ 256، وابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 25/ 48.

❁ شَرْحُ المُفْرَداتِ:

1) ﴿فَاطِرُ﴾: (فطر) أصلٌ يدلُّ على فتح شيء وإبرازه، وعلى خروج الشَّيء أو نفاذِه أوَّلَ أمره، بأن يَشُقَّ ما فوقه، ومن معنى الأوَّليَّة والبَدْء يأتي معنى الخلق؛ لأنَّه بدءُ الوجود، وفَطَر اللّهُ الخَلْق: خَلَقَهم، وابتدأ صَنْعة الأشياء، وهو فاطرُ السَّماواتِ والأرض، فالفَطْرُ: الابتداءُ والاختراعُ، قال ابن عبّاس ﷺ: كنت لا أدري ما فاطِرُ السَّماوات، حتَّى أتاني أعرابيّان يختصِمان في بئر، فقال أحدهما: أنا فَطَرْتُها، أي: أنا ابتدأتها[1]، والمراد به في الآية الكريمة: مبتدؤُهما بالخَلق والإخراج من العدم[2].

2) ﴿يَذْرَؤُكُمْ﴾: (ذرأ) أصلٌ يدلُّ على بذر الشَّيء وزَرْعه، وذَرَأ اللّه الخلق يذرؤهم، أي: خَلَقَهُم، وذَرَأْنا الأرضَ، أي: بَذَرْناها، ويدلُّ الأصل على نشر أشياء دقيقة وانتشارها، فاللّهُ تعالى أنشأ الخلق ونشرهم في الأرض بتناسلهم، ومنه: الذُرِّيَّةُ، وهي نَسْلُ الثَّقَلَيْنِ، والجمع: الذَّراريُّ[3]، والمراد به في الآية الكريمة: تكثيرُ الخَلْق والذُّرِّيَّة[4]، أي: لتكثروا أنتم، وتكثر الأنعامُ[5].

3) ﴿مَقَالِيدُ﴾: (قلد) أصلٌ يدلُّ على حوزِ الشَّيء بحبس شديد، والمقاليد: هي الخزائن، سُمّيت بذلك؛ لأنَّها تُحصِّن الأشياء، أي: تحفظُها، وتحوزها، والعرب تقول: أقلد البحر على خلق كثير؛ إذا أحصنهم في جوفه[6]، والإقليد: المفتاح، والمِقلادُ: الخزانة، ويجمع على: مَقاليد، وأقْلَدَ البحر على خلق كثير أي: ضمَّ عليهم، والقَلْدُ: جَمْعُ الشَّيْءِ القَليل إلى القَليل حتّى يَجْتَمِعَ، والمِقْلَدُ: الوِعاءُ[7]، والمراد به في الآية الكريمة: مفاتيح السَّماوات، فكلُّ شيء في السَّماوات والأرض؛ فاللّهُ تعالى هو خالقُه، وفاتحُ بابِه[8].

---

(1) الخليل، العين، والجوهريّ، الصّحاح، وابن فارس، مقاييس اللّغة، ومحمد جبل، المعجم الاشتقاقيّ: (فطر).
(2) البقاعيّ، نظم الدّرر: 17/ 256.
(3) الخليل، العين، والجوهريّ، الصّحاح، وابن فارس، مقاييس اللّغة، ومحمد جبل، المعجم الاشتقاقيّ: (ذرأ).
(4) الزّجاج، معاني القرآن وإعرابه: 4/ 395.
(5) محمد جبل، المعجم الاشتقاقيّ: (ذرأ).
(6) ابن فارس، مقاييس اللّغة، ومحمد جبل، المعجم الاشتقاقيّ: (قلد).
(7) الخليل، العين، وابن عبّاد، المحيط في اللّغة: (قلد).
(8) الزّجاج، معاني القرآن وإعرابه: 4/ 361.

❁ المَعْنى الإجْماليُّ:

موجِدُ الخَلْق على نظام الزَّوجيَّة؛ إلهٌ واحد فردٌ لا شبيهَ له

يخبر النَّظمُ الكريم أنَّ الله تعالى هو خالق السَّماوات والأرض بقدرته ومشيئته وحكمته، وقد جعلكم أزواجًا، فزوَّجكم من أنفسكم؛ لتسكنوا إليها، وتنتشر منكم الذُّرِّيَّة، ويحصل لكم من النَّفع ما يحصل، وجعل لكم من جميع أصناف الأنعام نوعين ذكرًا وأنثى؛ لتبقى، وتنمو لمنافعكم الكثيرة، فجعل ذلك لأجلكم، ولأجل النِّعمة عليكم، وبهذا التَّزويج يبثُّكم ربُّكم، ويكثِّركم، ويكثِّر مواشيكم نسلًا بعد نسل من النّاس والأنعام، وإنَّ الله تعالى ليس يشبهه شيءٌ، ولا يماثله خَلْق من مخلوقاته ذاتًا وصفاتٍ وأسماءً وأفعالًا، فليس كمثله شيء؛ لانفراده وتوحُّده بصفات الكمال من كلِّ وجه، ومن صفاته أنَّه يسمع جميعَ الأصوات، باختلاف اللُّغات، وأنَّه بصير يرى كلَّ شيءٍ، فيرى دبيب النَّملة السَّوداء، في اللَّيلة الظَّلماء، على الصَّخرة الصَّمّاء[1]، وإنَّ الله تعالى الذي فطر السَّماوات والأرض، هو مالكُهما وما فيهما من خير، وبيده مفاتيح الرَّحمة والأرزاق، وهو تعالى يوسِّع الرِّزقَ على مَن يشاء من النّاس، وهو الَّذي يُضيِّق على مَن يشاء، حتّى يكون بقدر حاجته لا يزيد عنها، وكلُّ هذا تابع لعلمه وحِكمته، فهو تعالى يعلم أحوالَ عباده، فيعطي كلًّا ما يليق بحكمته وتقتضيه مشيئتُه[2].

❁ الإيضاحُ اللُّغويُّ والبَلاغيُّ:

موقع الخبر ﴿فَاطِرُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ﴾ للمتقدّم:

خَلْقُ السَّماواتِ والأرض أثرٌ من آثار كمال القَدَر

أورد النَّظمُ الجليل قولَه جلَّ شأنه: ﴿فَاطِرُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ﴾ خبرًا ثانيًا عن الضَّمير المتقدِّم ذِكْرُه في قوله تعالى: ﴿وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ ٩﴾ [الشّورى: 9]، وقولُه تعالى ذِكره بينهما: ﴿وَمَا ٱخۡتَلَفۡتُمۡ

(1) ابن جرير، جامع البيان: 21/ 507، والسّعديّ، تيسير الكريم الرّحمن، ص: 754.
(2) السّعديّ، تيسير الكريم الرّحمن، ص: 754، وجماعة من العلماء، التفسير الميسر: 1/ 484.

عنوان الكتاب:
موسوعة التفسير البلاغي، المجلد الثاني والخمسون،
سورة غَافِر من الآية 77 إلى سورة الشُّورى الآية 12
مجمع القرآن الكريم بالشارقة، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
*
التنفيذ والنشر: منشورات القاسمي، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
سنة الطبع: 1447هـ - 2026م
©حقوق الطبع والنشر محفوظة لمنشورات القاسمي
الطبعة الأولى: 2026م
*
الفهرسة الوصفية أثناء النشر:
مكتبة الشارقة العامة، هيئة الشارقة للكتاب، الشارقة، الإمارات العربية المتحدة

227.366
م ق. ت
التفسير البلاغي للقرآن: المجلد الثاني والخمسون، سورة غَافِر من الآية 77 إلى سورة الشُّورى الآية 12
[إشراف مجمع القرآن الكريم، قسم الدراسات والبحوث ؛ المدير العلمي امحمد صافي المستغانمي].-
الشارقة، الإمارات العربية المتحدة : منشورات القاسمي، 2026.
مج. 52 ، 818 صفحة؛ 24x17 سم.
ردمك : 978-9948-641-48-3
يشتمل على ارجاعات ببليوجرافية.
مج. 52 : المجلد الثاني والخمسون، سورة غَافِر من الآية 77 إلى سورة الشُّورى الآية 12.
1-القرآن - تفاسير نحوية 2- القرآن، بديع 3- القرآن، بلاغة 4- القرآن - سور وآيات 5- القرآن-
ألفاظ أ- العنوان ب - مجمع القرآن الكريم (الشارقة، الإمارات العربية المتحدة).
قسم الدراسات والبحوث

الترقيم الدولي : 978-9948-641-48-3
*
إذن طباعة رقم: MC-03-01-0346315 بتاريخ 2026/01/07م،
الهيئة الوطنية للإعلام، الإمارات العربية المتحدة
*
الفئة العمرية : E
"تم تصنيف وتحديد الفئة العمرية التي تلائم محتوى الكتب وفقاً لنظام التصنيف العمري
الصادر عن المجلس الوطني للإعلام"
*
الطباعة: AL Bony Printing Press - Sharjah, UAE
الإخراج الفني: عاصم محمد زكي "النجار"